مدخل

لدراسة الثقافة الإسلامية

تأليف

دكتور
شوقي عبده الساهي

أستاذ الدراسات الإسلامية
بالجامعات العربية

الطبعة الأولى
١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

يطلب من :
مكتبة النهضة المصرية - ٩ شارع عدلى .
القاهرة ت : ٣٩١٠٩٩٤

ومن المؤلف :
٨١ شـــارع على أمين مدينة نصر . القاهرة
المنزل : ٢٦٠٨٩٤٠ ، المكتب : ٢٤١٠٤٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

وأصلى وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن اتبعهم باحسان إلى يوم الدين .

وبعد

فهذا - مدخل لدراسة الثقافة الإسلامية - يرمى إلى تزويدنا ثقافة نافعة عن إسلامنا ، لترسيخ مبادئه ، وفهم أصوله ، والعمل بأهدافه ، واتباع نظمه ، والتمسك بمثله ، والالتزام بقيمه ، ورد الشبهات عنه .

فلقد شهد العالم فى الآونة الأخيرة يقظة العالم الإسلامى الذى استطاع معظم بلدانه أن تتحرر ، وتنعم بحياة الاستقلال وتعود إليها خيراتها شيئا فشيئا ، وظهرت هنا وهناك دعوة إلى إقامة مجتمع إسلامى ، يعتمد فى كافة شئون حياته على مبادئ الإسلام ونظمه وأهدافه ، وقامت نهضة علمية واقتصادية واجتماعية وسياسية حققت كثيراً من أحلام المصلحين وآمالهم .

إلا أن الصورة المنشودة لم تكتمل ، حيث شهد العالم الإسلامى فى تلك الحقبة نفسها كوارث ونكبات ، وتعرض لانقسامات ومظاهر

من الانحرافات ، والبعد عن الطريق القويم الذى رسمه الإسلام ، حتى أصبحوا نهباً للغازين من كل حدب وصوب .

لذا : فقد بات على المسلمين أن يبدأوا بتقويم حياتهم وعرض كل ما اعتنقوه من أفكار أو طرحوه من شعارات على ميزان النقد السليم والفكر الإيجابى الذى يهدف إلى تأكيد أحقيتهم بحياة أفضل روحيا وخلقيا واجتماعيا واقتصاديا وسياسيا .

ولن يتحقق ذلك إلا بفهم الإسلام ومبادئه وأصوله ونظمه ومثله وأهدافه ، فهما واعيا عميقا قويا شاملا ، يبعث بروح جديدة تتسم بالإيمان الصادق ، والعزيمة القوية والعمل المنتج .

وبذلك تتجدد ثقة المسلمين بأنفسهم ، وتتلاشى عوامل الانهزام الفكرى والنفسى ، ويزول الشعور بالنقص ، والإخلاد إلى الراحة ، والتعلق بالأهواء والشهوات والأنبهار بحضارة الغرب والشرق .

ويعود لهم من جديد قيادة ركب الحضارة ، ورفع لواء الكرامة والعدالة والحرية والمساواة ، وبسط العلم والمعرفة والسلام فى أرجاء المعمورة .

هذا هو الأمل الذى أرجوه من خلال عرض هذا - الكتيّب - الذى لا يعدو أن يكون نقطة فى أول الطريق ترشدنا إلى ثقافتنا الاسلامية فى كل :

- جوانبها وأهدافها ومفاهيمها المشرقة الوضيئة .

- مصادرها وخصائصها ومناهجها الحية الوفيرة .
- مقوماتها وركائزها ومعالمها المتكاملة القويمة .

وبتعميم دراسة وفهم ونشر ثقافتنا العظيمة ، نستطيع إيجاد وعى علمى صحيح بحقيقة الإسلام ومبادئه ، وتطبيقه تطبيقا واعياً وسليما فى كافة شئون حياتنا .

والله أسأل أن يجعل عملى هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفعنى به يوم الدين ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

د / شوقى عبده الساهى

القاهرة - مدينة نصر

الجمعة ٨ رجب ١٤١٣ هـ
١ يناير ١٩٩٣ م

تمهيد

نحو ثقافة الأمة

لكل أمة من الأمم – مفاهيم أساسية تتمسك بها وتحرص عليها وتعمل على ترسيخها وتعميق إدراكها فى كافة شئون حياتها الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغير ذلك من أمور حياتها .

هذه المفاهيم الأساسية وما يتعلق بها ، وما ينبثق عنها ، هى فى حقيقتها ما يمكن أن يطلق عليها – ثقافة الأمة أو حضارتها – مع الأخذ فى الاعتبار ما بين الثقافة والحضارة من فروق !!

هذا وقد اهتم قادة الفكر والثقافة المؤمنين بمفاهيم أمتهم ، على أن تكون هذه المفاهيم واضحة الدلالة فى ذاتها ، واسعة الانتشار والتداول لدى أبناء أمتهم وغيرهم .

فلقد قام هؤلاء بتأليف الكتب ، وعقد المؤتمرات ، وإصدار النشرات ووضع المناهج للتعليم والتربية ، واستخدام كل وسائل الإعلام والتوجيه ، لتوضيح هذه المفاهيم وبيان أسسها وخصائصها بحيث تكون تلك المفاهيم مصدر فكرهم ، وطابع سلوكهم ، وسمة حياتهم ، ليخرج مدلول الثقافة عن قصد المعرفة المجردة ، إلى المعرفة الهادفة والواقع الحى .

وبذلك ... فلا ينبغى على أية أمة من الأمم ، أن تهمل فى نشر

ثقافتها ، أو تتركها تذوب فى ثقافة غيرها ، وتتلاشى من عقول أبنائها ، وتحل محلها ثقافات أخرى طارئة عليها غريبة عنها .

ذلك أن الثقافة ، هى الصورة الحية للأمة ، فهى التى تحدد ملامح شخصيتها ، وقوام وجودها ، وهى التى تضبط سيرها واتجاهها فى الحياة ، فاذا اهتزت هذه الصورة ، أو اضطربت ملامحها ، أو طمسها الركام ، لم يكن لهذه الأمة - بسبب ذلك - شخصية تميزها أو سمات تنفرد بها ، وتصبح تبعا لغيرها ، فتنتهى إلى الإضمحلال ، وتؤول إلى الزوال ..! ، وتلك هى الكارثة التى تخشى كل أمة أن تحل بها ، فتمحق وجودها وتطمس حياتها.

واليوم تقف أمتنا الإسلامية على مفترق طرق شتى ، تواجه تيارات فكرية ، وثقافات مسمومة ، ومفاهيم مغلوطة ، ومذاهب اجتماعية واقتصادية وسياسية دخيلة ومغايرة لديننا .

والمروّجون لهذه المذاهب وتلك الأفكار ، يستخدمون شتى الوسائل التى وصلت إليها حضارة العصر ، لتزيينها وجعلها مقبولة لدى الناس ، فهم يستعملون سبل الدعاية والإعلام كافة عن طريق البث التلفازى والإذاعات ، ونشر الكتب والصحف والمجلات . فى وقت أصبح العالم فيه وحدة واحدة تقال فيه الكلمة فى أقصى الدنيا فتسمع فى أقصاها ، وأضحى من المستحيل أن نغلق على أنفسنا الأبواب والنوافذ لنكون بمنجاة من وافدات هذه الأفكار وتلك التيارات ، الأمر الذى بات واجبا على المسلمين أن يتعرفوا طريقهم ويحددوا وجهتهم ويدركوا ما يحيط بهم من اتجاهات وتيارات فكرية

منحرفة ، ونظم اجتماعية وسياسية هدامة ، ولتكن خطاهم على أقوم السبل وأوضح المناهج .

إن على الجيل المعاصر من المسلمين ، أن يرفضوا الحضارة الزائفة والأفكار المسمومة ، والمفاهيم المغلوطة ، التى لا تليق بالأمة التى ينتمون إليها ، ويدركوا أن دعوة الله تبارك وتعالى هى البرهان القوى الساطع على أحقية الوجود الإسلامى فى هذه الحياة .

وبهدى هذه الدعوة وأدلتها القوية ، وأهدافها السامية ومبادئها القويمة ، ينقى المجتمع البشرى من أدران الظلم والفوضى ، والتمزق والضياع ، ويحيا حياة السعادة والطهر والاستقامة والكرامة .

وإننا على يقين وثقة فى وعى أمتنا لهذه الحقيقة ، وسعيها فى اتباع سبيل الإسلام فى كافة شئونها الاجتماعية والتربوية والتشريعية فلا طريق سواه فى بناء الفرد وإنشاء المجتمع بلبنات الفكر والثقافة والاقتصاد ، والخلق القويم . والتوجيه السليم .

قال تعالى : " قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نورٌ وكتابٌ مُبين . يَهْدِى بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ ، ويُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ بِإِذْنِهِ ، ويَهْدِيهِمْ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ "

المائدة (١٥ ، ١٦)

تلك هى معالم نحو ثقافة الأمة التى يتحقق بها للإنسانية جمعاء ، قيم الحق والخير ، والعدالة والمساواة والسلام .

• • •

الفصل الأول

مفاهيم وأهداف للثقافة الإسلامية

تدل كلمة (ثقافة) على دلالات كثيرة وايحاءات متعددة ، فهى تعنى فى إطارها العام آفاقا ومستويات تتعلق بالفكر والسلوك والنظم والعلائق الإنسانية ونحوها .

ولتعريف الثقافة تعريفا يشمل جوانبها المتعددة وآفاقها المتنوعة ، لابد من تجاوز نطاقها اللغوى - من حيث أصل الكلمة واستعمالاتها - إلى النطاق الإصطلاحى العام .

كما وأن الثقافة الإسلامية تهدف إلى أغراض شتى متعددة الجوانب ، تقوم على أسس علمية صحيحة ، وفق تعاليم الإسلام ومبادئه وأهدافه .

وسوف نتناول هذا الفصل فى مبحثين :

المبحث الأول

مفاهيم حول الثقافة الإسلامية

إن من الضـرورى أن نلم بأصل كلمـة ثقافـة فى لغة العرب وبعض وجوه استعمالها ، قبل الحديث عن مفهومها الإصطلاحى العام ، وما تعنيه فى نطاق الفكر والعلوم الإنسانية ، وما تدل عليه فى اللغات الأجنبية ، وما تتفق وتختلف فيه مع العلم والحضارة .

أولاً : المفهوم اللغوى للثقافة :

تأتى كلمة الثقافة ومشتقاتها فى اللغة العربية على جملة معان وقد لا تتصل فى مدلولها العام الشائع إلاّ على سبيل المجاز ، فهى تعنى فى أكـثـر الاسـتـعـمـالات اللـغـوية على (الحـذق والفطنة ، والتسوية والتقويم ، والأخذ والظفر والادراك والتأديب وفهم العلم بسرعة ، وثبات المعرفة بما يُحتاج إليه ...)

فنقول : ثَقِفَ الشئ ثَقَفاً وثِقافاً وثُقوفة بمعنى حذقه ، ورجل ثَقِفٌ وثُقِفٌ وثَقُفٌ ، أى حـاذق فَهْم ، وثقُف الرجل صـار حـاذقـاً خفيفا فطناً " (١) وثَقُفَ الكلامَ ثقافةً - أى حَذقَهُ وفَهِمَهُ بسرعةٍ .

---

(١) مختار الصحاح لابى بكر الرازى ص. ٨٤ ، ٨٥ ط أولى- مادة ثقف .

ومن جملة المعانى فى هذا الصدد ، أن الثقاف : هو ما تسوى به الرماح وثقفه تثقيفاً – أى سواه وقومه بعد اعوجاج . والثقاف والثقافة – العمل بالسيف . وقيل الثقافة أى الخصام والجلاد(١)

وقد أستعملت هذه الكلمة فى القرآن الكريم بمعنى – الأخذ والظفر والإدراك – كما جاء فى قوله تعالى : " مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً" (٢) وقوله تعالى : " فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ " (٣) وقوله تعالى : " وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ " (٤)

وتأتى هذه الكلمة فى الاستعمال المجازى – بمعنى التأديب والتهذيب فيقال : لولا توقيفك وتثقيفك ما كنت شيئاً ، وهل تهذّبتُ وتثقّفتُ إلا على يدك (٥) .

ثانيا : المفهوم الاصطلاحى للثقافة :

تناول المفكرون وأولى الرأى الثقافة بتعاريف شتى ، شملت أبعاداً كبيرة ، ودلالات كثيرة ، لا نجد داعياً للخوض فى بيان تفصيلاتها وما حوته من أراء وأفكار .

---

(١) لسان العرب لابن منظور جـ ٩ ص. ٢٠
(٢) سورة الأحزاب (٦١)
(٣) سورة الأنفال (٥٧)
(٤) سورة النساء (٩١)
(٥) أساس البلاغة للزمخشرى ص. ٩٦ ، تاج العروس للزبيدى جـ ٦ ، ص. ٥٣ .

والذى يعنينا فى هذا الصدد هو استخلاص مفهوم شامل لمعنى الثقافة ، فهى : عبارة عن مجموعة العلوم والفنون والمعارف النظرية التى يُطْلَبُ الحذق بها وتكوّن الفكر الشامل للإنسان ، فتكسبه أسباب الرقى والتقدم والفهم والوعى بوجه عام .

وبذلك ينطوى تحت هذا التعريف كل عناصر الفكر ، ومختلف التصورات التى تشتمل على شتى ألوان المعرفة ، ومكتسبات العقل فهى على وجه العموم لا تستند إلى ركيزة معينة أو أصل محدد بالذات .

بخلاف الثقافة الإسلامية : التى تدور فى فلك الإسلام وتعاليمه وعقائده ونظمه ، وتهتدى بهداه فى قيمه ومثله وتصوراته ، وترتبط بأصوله وقواعده ، وتستمد أصولها وآفاقها وملامحها من مبادئ الإسلام التى تقوم على المصدرين الرئيسيين وهما القرآن الكريم والسنة النبوية ويضاف إليهما جملة من العلوم والمعارف التى لا يرى الإسلام غضاضة فى معرفتها والوقوف على حقيقتها .

ولذا يمكن : تعريف الثقافة الإسلامية بأنها "مجموعة المعارف والتصورات والعلوم والنظريات التى تدور فى فلك الإسلام ، فتنبثق عنها فكرة شاملة عن الكون والإنسان والحياة تؤثر فى الفرد

والمجتمع ، وتضفى عليهما طابعا شخصيا معينا .."[1] فهى فكر ووجدان .

فالثقافة الإسلامية : تستند الى تصور إسلامى قائم على دعائم ثابته أولها المصدران الرئيسيان - القرآن الكريم والسنة النبوية - ويضاف إليها الرصيد الضخم من الثروة الفقهية المبينة على الاجتهاد والاستنباط ، وما توصل إليه العقل البشرى من أنواع العلوم والمعارف والأفكار والتصورات النافعة ، والمبرأة من الهوى ، والمنظمة للحياة البشرية ، والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأخلاقية .

فضلا عن أنها تبحث فى المتغيرات والمستجدات ، والشبهات الماضية والحاضرة التى تتعلق بمقومات الأمة الإسلامية عامة أو مقومات الدين الاسلامى خاصة بصورة مُقْنِعةً موجِّهة .

فهى تختلف عن غيرها من الثقافات الأخرى غير الإسلامية ، التى لا تنضبط بضوابط ثابتة معينة ، ولا ترتكز إلى مستندات غير قابلة للتغير والتبديل ، وإن كانت تستند فى أسبابها ووجودها ،

---

(١) أنظر تعاريف الثقافة فى الكتب التالية : دراسات فى الثقافة الإسلامية / محمد عبدالسلام ورفاقه ص٧ وما بعدها ، لمحات فى الثقافة الإسلامية / عمر الخطيب ص٢٢ وما بعدها ، مذكرات فى الثقافة الإسلامية/ أحمد الفندور ورفاقه مطبوعات جامعة الكويت ص١ وما بعدها ، مبادئ الثقافة الإسلامية/فاروق البنهان ص١٣ ، وما بعدها - دراسات فى الثقافة الإسلامية/أمير عبدالعزيز ص١٥ وما بعدها - محاضرات فى الثقافة الإسلامية أحمد جمال ص١٢ وما بعدها .

إلى اعتبارات شتى غير منضبطة ، لا تعبأ بالدين إلاّ قليلاً ، أو على نحو مشوه يخالطه التخريف والتزييف .

ثالثاً : مفهوم الثقافة فى اللغات الأجنبية :

يحاول الباحثون عند بحث مشكلة تعريف بعض الأمور المعنوية (١) أن يتبعوا أصل التعريف (٢) ثم البحث بعد ذلك فيما طرأ على هذا المدلول من تطور ، ومحاولة معرفة العلاقة أو العلاقات الجديدة فى ضوء العلاقات الأصلية الأولى .

فإذا ما أعياهم ضبط هذه العلاقات ، أو حصرها فى نطاق الحقيقة اللغوية ، كان لهم فى المجاز سعة وأى سعة .(٣)

من هذا المنطلق نستطيع أن نعرف صورة مشكلة تعريف الثقافة فى اللغات الأجنبية من خلال تقصى تاريخها ، وذلك من حيث معرفة الأصل وما طرأ عليه بعد ذلك من تطور ، حتى أخذ الشكل المألوف فى مدلولها الحديث .

فكلمة الثقافة فى الأصل - اللاتينى - (العصور القديمة والوسيطة) تدل على تنمية الأرض ومحصولاتها . ولكن هذا

---

(١) أنظر : كتاب أسرار البلاغة / عبد القاهر الجرجانى - فى حدى الحقيقة والمجاز ، ص. ٣٠٢ وما بعدها .

(٢) أى اطلاق اسم على شئ .

(٣) أى معرفة المدلول الذى كان مراداً عند بدء إطلاق الاسم على الشئ .

الاستعمال لم يلق الرواج كثيراً فى أول الأمر حيث تغير الحال فيما بعد .

وفى أوائل العصور الحديثة (فى اللغات الانكليزية والفرنسية والألمانية) استعملت كلمة الثقافة بمدلولها المادى والعقلى ، ثم جاء الفرنسيون ، فأطلقوا هذه الكلمة دون إضافتها إلى أمر مادى أو معنوى ، وأصبحت بعد ذلك تدل على تنمية العقل والذوق ، ثم انتقلت بعد ذلك الى حصيلة عملية هذه التنمية ، وهى : المكاسب العقلية والأدبية والذوقية .

ثم أخذت هذه الكلمة تتطور عند الفلاسفة وعلماء الاجتماع والمؤرخين الى أن تحولت دلالتها من الإنماء الفردى إلى المجموعات الإنسانية من الأمم والشعوب ، وغدت هذه الكلمة تطلق على مجموع عناصر الحياة وأشكالها ومظاهرها فى مجتمع من المجتمعات .

وما زالت كلمة الثقافة تستعمل فى اللغات الأخرى بمعنى الثقافة الفردية ، والثقافة بوجه عام ، وكان من الطبيعى ازاء تقدم العلوم الطبيعية والتطبيقات الصناعية أن تعود إليها فى هذه العلوم والتطبيقات معناها الأصلى – أى عملية إنماء الأشياء المادية – فهى تفيد معنى ما يكتسبه الإنسان من ضروب المعرفة

النظرية والخبرة العملية التي تحدد طريقته في التفكير ، ومواقفه في مختلف طرق الحياة . (١)

● ● ●

رابعاً : الثقافة والحضارة والعلم :

لكل واحد من هذه الاصطلاحات معناه ، قد تلتقي في بعض التفضيلات أو المعاني ، وقد تختلف . ولذا سوف نعرض لها بشئ من التفصيل .

(أ) الثقافة والعلم :

قلنا : أن الثقافة .. عبارة عن مجموعة العلوم والفنون والمعارف النظرية التي تؤلف الفكر الشامل لدى الإنسان ، فتكسبه أسباب الرقي والتقدم والفهم والوعي .

بمعنى : أن الثقافة تختص بالتعبير عن الدراسات الأدبية والنظرية والعقلية والفلسفية ، وما يتعلق بالأمور المعنوية والدينية والروحية .

بهذا المفهوم : نجد أن هناك فرق ظاهر بين الثقافة وبين العلم

---

(١) انظر :لمحات في الثقافة الإسلامية ، عمر الخطيب ص. ٢٧ وما بعدها .

على تعدد المقولات الواردة فى تحديد مفهومه و معناه .

فلقد كان مفهوم العلم طيلة الأزمنة الماضية يشمل كل معرفة مهما كان نوعها أدركها الإنسان فوعاها ، وذلك من غير تفريق بين علم وآخر من بين ضروب المعرفة التى توصل إليها الناس . ويستوى فى اطلاق كلمة العلم على كل من الطب والهندسة والكيمياء والآداب والفنون وغير ذلك .

ثم تطور مفهوم العلم مع التطور السريع للعلوم فى تنوع دروبها ومناحيها فاقتصر هذا المفهوم على المعرفة المتحصلة عن طريق التجربة العملية والاختبار التطبيقى ، من غير اكتفاء بمجرد الملاحظة ، فالعلم عبارة عن مجموعة المعارف التى توصل إليها الإنسان عن طريق الملاحظة المقترنة بالتجربة العملية .

أما المعرفة المبنية على مجرد الملاحظة والنظر والاستنتاج ، فهى لون من الثقافة التى لا يسوغ أن تسمى علماً ، ذلك أن الثقافة هى : مجموعة علوم ومعارف نظرية لا تتحصل عن طريق التجربة المحسوسة ، ولا الاختبار المادى الملموس .

ويرى البعض (١) الفرق بين الثقافة والعلم من جهة أخرى :

---

(١) انظر : نحو فلسفة عربية للتربية ، عبد الغنى النورى ورفيقه ص ٥٣ .

فالثقافة : معرفة اجمالية يكون بها المثقف عارفا بدراسات متنوعة أو عامة .

أما العلم : فهو معرفة تخصصية يكون بها الباحث متخصصاً فى دراسة محددة .

وبناء على ذلك : فإنه يمكن التفريق بين العلم والثقافة من الوجهة الشمولية ، فالثقافة اشمل من العلم ، وذلك باعتبار العلم جزءاً من الثقافة ، وأنه أحد مركباتها ، ثم أن العلم يتسم بالعالمية فالأمم والشعوب جميعا تساهم فى تنميته وأبرازه للوجود ، فهو لا يتقيد بأرض أو جنس أو قوم دون آخر .

بخلاف الثقافة فإنها ترتبط بأمة معينة وهى دائمة الارتباط بها ، وذلك بما للأمة من مقومات فى الفكر والاجتماع ، وبما لديها من تصورات ومعتقدات .(١)

ومن الطبيعى أن تختلف الثقافة من أمة لأخرى ومن مجتمع لآخر ، وذلك باختلاف الأفكار والمبادئ والعقائد والتصورات التى ترسم صورة معينة عن الكون والإنسان والحياة (٢)

ولهذا يؤخذ العلم أخذا عالميا ، أما الثقافة فإن الأمة تبدأ

---

(١) دراسات فى الثقافة الاسلامية / أمير عبد العزيز ص ٤٦ ، ٤٧ .
(٢) مذكرة فى الثقافة الاسلامية / محمد أديب الصالح ، ص ٣٠ .

بثقافتها حتى إذا درستها ووعتْها ، وتمركزت فى الأذهان ، انتقلت إلى الثقافات الأخرى .

(ب) الثقافة والحضارة :

لمعرفة معنى الحضارة لابد أن ندرك التقارب بين مفهومها اللغوى ولاصطلاحى .

فالحضارة فى اللغة : هى الإقامة فى الحضر ، والحضرى خلاف البدوى ، وكذلك الحضارة ضد البادية . وهى الإقامة المتنقلة فى البوادى .

اذ الحاضرة هى المدن والقرى والريف ، والبادية عكسها ، وعلى ذلك فإن الحضارة خلاف البداوة .(١)

أما الحضارة فى الاصطلاح : فهى كما يقول بعض الباحثين(٢) : تطلق على كل ما ينشئه الإنسان فى كل ما يتصل بمختلف جوانبه ونواحيه - عقلا وخلقا ، مادة وروحا ، دينا ودنيا .

فهى - فى اطلاقها وعمومها - قصة الإنسان فى كل ما أنجزه على اختلاف العصور وتقلب الأزمان ، وما صورت به علائقه بالكون وما وراءه .

---

(١) انظر : مختار الصحاح / للإمام الرازى ، ص ١٤١ .
(٢) الاسلام والحضارة العربية / محمد محمد حسين ، ص ٨ .

وهى – فى تخصيصها بأمة من الأمم – تراث هذه الأمة على وجه الخصوص الذى يميزها عن غيرها من الأمم الأخرى .

فالحضارة بهذا المعنى : أعم من الثقافة ، التى تطلق على جانب الروحى أو الفكرى من الحضارة . بينما تشمل الحضارة جانبين الروحى والمادى ، أو الفكرى والصناعى .

وبهذا يكون معنى الحضارة – من حيث الأصل – أوسع دلالة ن الثقافة ، لأنه اذا كانت الثقافة هى نتاج المعرفة وتنمية العقول ، من الواضح أنها لم تنشأ إلاّ بعد الاستقرار الذى تمثل فى سكنى لمدن والأمصار .

وهناك تعاريف أخرى لبعض الباحثين : تفيد أنه لا فرق بين حضارة والثقافة فهما اصطلاحان لمسمى واحد يضم نفس لفحوى والمفهوم والمضمون . بحيث يقال : ان حضارة أى مجتمع ثقافته ، انما تتمثل فى القيم والمعانى والنظم التى تنطوى عليها حياته .

وصفوة القول : فبرغم كثرة ما قاله الباحثون والمفكرون فى لصدد من تعاريف نستطيع الخلوص الى حصيلة فاصلة بهما وهى :

أن الثقافة أضيق اطاراً من الحضارة : بمعنى أن الثقافة تدور فى مجال الأفكار والتصورات والمعتقدات الذهنية والنظرية .

أما الحضارة فهى أوسع شمولا من الثقافة : لأنها عبارة عن مجموع المعارف العلمية والنظم والعادات والآداب التى تمثل الحالة الفكرية والاقتصادية والخلقية والسياسية والفنية ، وسائر مظاهر الحياة المادية والمعنوية فى مرحلة من مراحل التاريخ . وفى بقعة من بقاع الأرض .

فحضارة الأمة : هى الإطار الأكبر الشامل الذى يتسع لكافة وجوه الرقى من مادية وتصورية ومعنوية وعلمية .(١)

---

(١) أنظر : دراسات فى الثقافة الاسلامية ، د.أمير عبدالعزيز ، ص ٤٨ وما بعدها ولمحات فى الثقافة الاسلامية . عمر عودة الخطيب ص ٤٣ .

المبحث الثانى

أهداف الثقافة الإسلامية

تهدف الثقافة الإسلامية إلى تحقيق أغراض شتى ، كثيرة متعددة الجوانب ، نذكر طرفا منها على سبيل المثال :

- إيجاد وعى علمى صحيح بحقيقة الإسلام ، ليصبح المسلم وهو صاحب عقيدة ، مدركاً لعقيدته ، عالما بشتى جوانبها وأبعادها .
- ترسيخ العقيدة الإسلامية الصحيحة وفق الأسس العلمية ، ليكون المسلم قادراً على مواجهة جميع الأفكار والعقائد والاتجاهات الدخيلة والمغايرة .
- تحريك مشاعر المسلم نحو عقيدته الحقة النيرة ، وشريعته الكاملة القويمة ، لتعميق روح الولاء لأمته الرائدة القائدة ، التى كرمها الله بهذه الرسالة الهادية .
- تزويد عقل وفكر المسلم بمصادر الثقافة الإسلامية (القرآن الكريم والسنة النبوية .. الخ) وما يستنبط منها ، لمعرفة ما فيها من قيم أخلاقية ، تطهر الروح والنفس والضمير من دنس الشر والإنحراف .
- تعريف المسلم بالنظم الإسلامية المتكاملة الشاملة لجميع مناحى

الحياة ، من أجل الدفاع عنها والعمل على تطبيقها تطبيقا واعيا وسليما فى كافة شئون الحياة الفردية والجماعية .

- تربية الملكة الفكرية لدى المسلم ، لحل كبريات المشكلات التى أثارتها التيارات الفكرية الشاذة ، والمذاهب الهدامة المعادية للإسلام ومبادئه وأبنائه .

- ترجمة واقع التفكير العلمى فى تعاليم الإسلام ونظمه ، إلى واقع عملى تطبيقى ، وقانون سلوكى أخلاقى ، لبسط رأية العلم والمعرفة فى أرجاء المعمورة .

- تكوين ملكة النقد الصحيح لدى المسلم ، كى يستطيع تقويم المبادئ والنظم والمذاهب التقويم السليم ، ويميز بين الغث والثمين وفق هدى القرآن الكريم والسنة النبوية .

- وقوف المسلم على ثروة الإسلام الفكرية والخلقية والعلمية ، ليستطيع نشرها ضمن الأوساط العلمية التى يتاح له الدخول فيها أو الاتصال بها .

- تسليح المسلم بالمنهج العلمى الإسلامى الخالى من الشوائب ، والبعيد عن الأهواء ، للسير فى الطريق المستقيم نحو العمل على عمارة الأرض وتنميتها بالخير وسعادة البشرية .

- توضيح واقع التفكير العلمى والعقلى فى الإسلام ، من خلال

دراسة التاريخ والحضارة والمعارف الإسلامية ، لمعرفة ما فيها من فنون وعلوم وبطولات وتضحيات وانتصارات لأبنائه .

- ربط الشباب المسلم بمصادر الشريعة الأساسية (القرآن والسنة) وتبصيرهم بما فيها من عناصر حق وقوة وخير وهداية لاتخاذ ما فيها منهجا لحياتهم العلمية والعملية .

- وبتحقيق هذه الأهداف ، نستطيع ملء قلوب الأجيال المسلمة بروح الاعتزاز بدينها ، وأمجاد أمتها ، مع ملء نفوسهم بمستقبل عظيم - علما وحضارة وسلطانا فى الأرض .

وبذلك يوجد الفرد المتميز والمجتمع المثالى ، وهذا أول الطريق للسير فى السبيل القويم ، الذى يؤدى إلى تحقيق العزة والكرامة ، والتقدم والرفاهية ، والإيمان الصادق والعمل المنتج ، وبذلك تتجدد ثقة المسلمين بأنفسهم ، فى نشر الدعوة ، ومواجهة التحديات ، وقيادة ركب الحضارة والثقافة .

الفصل الثانى

مصادر وخصائص للثقافة الإسلامية

نتناول هذا الفصل فى مبحثين :

المبحث الأول

مصادر الثقافة الإسلامية

تستمد الثقافة الإسلامية مفاهيمها من حقائق يقينية ثابتة كما تقوم على أسس قوية رصينة .

هذه الحقائق وتلك الأسس ، هى المفاهيم الإسلامية التى جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية وما خلفه المسلمون من تراث إسلامى ، وإبداع علمى ، وأهم هذه المصادر ما يلى :

المصدر الأول : القرآن الكريم :

يقصد بالقرآن الكريم : أنه " كلام الله تعالى ، المنزل على محمد ﷺ باللفظ العربى ، المتعبد بتلاوته ، والمنقول إلينا بطريق التواتر ، المتحدى بأقصر سورة منه ، الذى نزل منجما ، المبدوء

بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس " (١)

قال تعالى : « وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين »(٢)

إن القرآن الكريم هو الأصل الأصيل الذى تدور فى فلكه تعاليم الإسلام سواء فى ذلك الفروع والتفصيلات المستنبطة من آياته الشاملة ، أو المفاهيم والقيم والأخلاق على اختلاف أشكالها ومناحيها . فهو الينبوع الذى يسكب الخير والحق على الواقع كله وعلى الحياة كلها .

قال تعالى : « ما فرطنا فى الكتاب من شئ »(٣) وقال تعالى : « إن هو إلا ذكر للعالمين »(٤)

ولا يتكامل العطاء الثقافى فى القرآن الكريم ، إلاّ بالوقوف على ما فيه من البلاغة والإعجاز البيانى والعملى ، وما فيه من عقيدة وتشريع وعبادات وأخلاق وقيم وتربية ، وسلوك ونظم اجتماعية واقتصادية وسياسية وكافة فنون الحياة .

---

(١) مناهل العرفان فى علوم القرآن للزرقانى جـ ١ ص ١٢ .
((٢) سورة الشعراء (١٩٢ - ١٩٥) .
(٣) سورة الأنعام (٣٨) .
(٤) سورة ص (٨٧) .

قال تعالى : « أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ »(١) وقال تعالى : « إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ »(٢)

لقد جاء القرآن الكريم ، كأول مصدر للثقافة الإسلامية ، بالمنهج الإلهى وبالعقيدة الشاملة وآفاقها الواسعة ليرسم للبشرية خطة السير الصحيح وسلوك السبيل الأقوم فى الحياة ، لتحقيق أسمى الغايات ، وادراك السعادة الكاملة للأفراد والجماعات .

قال تعالى : « وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ، ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » (٣)

إن القرآن الكريم ، كأول مصدر للثقافة الإسلامية ، أحدث تغييراً فى الحياة البشرية منذ اللحظة الأولى . فبدأ تحويل سير التاريخ منذ أن تحددت الجهة التى يتطلع إليها الإنسان ويتلقى عنها قيمه وموازينه من خلال هدى القرآن .

قال تعالى : « وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ، وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا » (٤)

---

(١) سورة النساء (٨٢)
(٢) سورة الأسراء (٩)
(٣) سورة الأنعام (١٥٣)
(٤) سورة الشورى (٥٢)

ولقد ظلت آثار هذه اللحظة تعمل فى حياة البشر ، وهى كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

تلك إشارات إلى معالم القرآن الكريم - كأول مصدر للثقافة الإسلامية - الذى قال فيه الحق تبارك وتعالى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ ، وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً » (١)

المصدر الثانى : السنة النبوية :

يقصد بالسنة النبوية : ما أضيف الى رسول الله ﷺ من قول أو فعل ، أو تقرير ، أو صفة من صفاته .(٢)

وتأتى السنة النبوية فى المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم ، وهى بذلك تحتل منزلة بالغة الأهمية والاعتماد عليها من تعاليم واحكام ، أمر ضرورى فى بناء الثقافة الإسلامية وتأسيس المثقفين وذلك لما تقوم به من دور كبير فى الكشف والبيان للقرآن الكريم ، لأن كثيراً ما تكون بعض آياته قد ورد فى مورد الشمول أو العموم أو الاطلاق أو الإجمال ، وهذا كله يستلزم بياناً وتحديداً وافيين .

قال تعالى : « وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ

---

(١) سورة النساء (١٧٤)
(٢) أنظر : لمحات فى اصول الحديث / محمد أديب صالح ص ٢٧ ، الإحكام فى أصول الأحكام / للآمدى جـ ١ ص ١٢٧ .

لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ » (١) وقال تعالى : « فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ » (٢) .

والقرآن فى آياته المتعلقة بالأحكام لم يتعرض لجميع المسائل بالتفصيل ولكنه جاء بالعموميات والكليات ، تاركا ما وراء ذلك إلى رسول الله ﷺ فلا يستقيم قوله تعالى : « وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ »(٣) الا بقوله ﷺ « صلوا كما رأيتمونى أصلى »(٤) ولا قوله تعالى : « وآتُوا الزَّكَاةَ »(٥) إلاّ بمعرفة باب الصدقات عن رسول الله ﷺ ولا قوله تعالى : « وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ »(٦) إلاّ بقوله ﷺ « خذوا عنى مناسككم »(٧) وغير ذلك من أحكام الصوم والطهارة والذبائح والزواج والطلاق والظهار .... الخ(٨) .

والقرآن وهو على هذه الشاكلة من الإيجاز والإطلاق والعموم والإجمال والبيان والتفصيل فإنه يقضى أن تنبرى له السنة بالتوضيح والبيان فتكشف عن معناه وتزيل عنه الإجمال المبهم أو الإشكال الذى لا يدركه كثير من الناس .

---

(١) سورة النحل (٤٤)
(٢) سورة النساء (٥٩)
(٣) سورة البقرة (١١٠)
(٤) رواه البخارى ١١١/٢ رقم ٦٣١ من فتح البارى .
(٥) سورة البقرة (١١٠)
(٦) سورة آل عمران (٩٧)
(٧) رواه مسلم جـ ٢ ص ٩٤٣ رقم ٣١٠
(٨) انظر : الموافقات للشاطبى جـ ٤ ، ص ٢٦

قال تعالى : « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا »(١) وقال تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا »(٢)

وكان منهج الخلفاء الراشدين والصحابة - رضى الله عنهم - التمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فى واقعهم العلمى المتجدد بالأحداث والوقائع والقضايا ، متمشياً مع قوله ﷺ « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما مسكتم بهما ، كتاب الله تعالى وسنة نبيه »(٣) .

الأمر الذى يستلزم منا دراسة القرآن والسنة ، دراسة واقعية متأنية مستفيضة باعتبارهما المصدران الأساسيان للتشريع ، وما ينطوى عليهما من أصول وقواعد الثقافة الإسلامية .

المصدر الثالث : التراث الإسلامى :

لا شك أن من بين مصادر الثقافة الإسلامية - التراث الإسلامى - الذى هو عبارة عما تركه علماء وفقهاء المسلمين من

---

(١) سورة الحشر (٧)
(٢) سورة النساء (٥٩)
(٣) رواه مالك فى الموطأ جـ ٢ ص ٨٩٩ رقم ٣ ط محمد فؤاد عبد الباقى .

علوم شتى ، سواء فى الجانب العقائدى أو الجانب الأخلاقى أو الجانب التشريعى ، أو نظم فى الحكم لتنظيم شئون الدولة فى القضاء والمال والاقتصاد والسياسة والعلاقات الإنسانية الى غير ذلك ، بالإضافة إلى ما قاله اللغويون والنحويون وأهل البلاغة والفصاحة ، وما جمعه المؤرخون من أحداث وسير وأخبار ومناسبات ، وما خلفته الأجيال السابقة من حضارة وفنون وعلوم .

إن التراث الإسلامى الذى أثمرته قرائح العلماء والفقهاء فى هذه الميادين ، لهو المرآة التى يجب أن ينظر فيها علماء وفقهاء اليوم ، وفى كل عصر ليروا فيها مجد ووجه أمتهم المشرق طوال ماضيها المجيد لاختيار ما هو جدير بتربية أبناء هذه الأمة وتثقيفها .

المصدر الرابع : المعرفة العلمية والخبرات الإنسانية :

إن المعرفة العلمية والابتكار فيها على أساس استعمال العقل البشرى ووضع المناهج والتجربة من خلال القواعد العلمية ، وجدت طريقها فى القرآن الكريم والسنة النبوية .

فجميع ما قدمته العقول البشرية الخيرة من أنواع الابتكار والتقدم العلمى والحضارى والنظم والعلوم والفنون والآداب والثقافة ، ما هى إلاّ توجيهات الإسلام للمسلمين جميعها .

والإنسان كائن حى اجتماعى ، لا يستطيع أن يعيش بمعزل عن الناس والحياة ، فهو عبارة عن مجموعة خبرات ، أكتسبها طوال فترة معايشته مع الآخرين نتيجة تفاعله معهم .

فهذه المعرفة العلمية النافعة والخبرات الإنسانية الخيرة ، خليقة بأن تكون مصدراً من مصادر الثقافة الإسلامية .

المبحث الثانى

خصائص الثقافة الإسلامية

للحديث عن خصائص الثقافة الإسلامية ، ينبغى أن ننوه بحقيقة أساسية ، وهى أن هذه الثقافة مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية وهما الأصل الذى يدور فى سخاء مستمر ما تنطوى عليه ثقافة الإسلام من معان وقيم وأفكار وتصورات ، وأهم هذه الخصائص ما يلى :

الخصيصة الأولى : ربانية الأساس والمورد :

إن الثقافة الإسلامية بارتكازها على الكتاب والسنة ، وانبثاقها عن المنهج الالهى ، يعطيها مطلق الثقة الكاملة بها ، ويجعلها موضع الإيمان والتسليم ، هذا بالإضافة إلى أنها تجعل المسلم مذعناً لهذا المنهج الإلهى فى هذه الحياة مدركاً ما لهذا التصور الإسلامى من تفسير شامل للوجود ، ومعرفة كاملة بحقيقة الإنسان ، ودوره فى هذا الوجود .

وبذلك يعتصم الإنسان من التناقض والتطرف ، ويبرأ من

التحيز والهوى ، ويتحرر من العبودية لغير الله ، ويَسلم من التمزق والضياع ويسعد فى الدنيا والآخرة .

ومن ثم فليست الثقافة الإسلامية كغيرها من الثقافات التى ترتكز على النظريات البشرية والفلسفات المحدودة ، والمرتبطة بقيود الزمان والمكان ، والمتأثرة بالأزمات النفسية والهزات الاجتماعية ، وما ينجم عنها من ردود الفعل التى تبعدها عن العمق والصدق والاتزان .

إن هذه الثقافات - وهذا حالها - إنما تعيش فى الحقيقة خارج دائرة الوجدان الإنسانى فى أصالته ونقائه ، فهى بعيدة كل البعد عن أى نزعة تحفظ للإنسان مكانته الرفيعة التى أكرمه الله بها ، ولا تملك إلاّ أن تسوق الإنسان بنزعة القوة التى تسيطر بها عليه سيطرة تسلبه بها حريته أو نزعة الخديعة التى تسلبه بها كرامته ، أو بهما معا ، كما هو الحال فى كثير من الأمم والشعوب فى ظل هذه الفلسفات المادية المنحرفة التى استطاعت أن تتخذ من السلطة منطلقا لممارسة نزعة القوة والخديعة فى آن واحد .

ولعل خير ما يجلى الصورة المقابلة هذا الوضع المنحرف ، ما يبينه الإسلام من حقيقة - العبودية - فى الإنسان ، وهى العبودية

التى تقوم على الثقة والطمأنينة واليقين الخالص بالعبادة والخضوع لله عز وجل .

لهذا وجه القرآن الكريم نداءه إلى أهل الكتاب كافة أن يتحرروا من العبودية لغير الله . وأن يخضعوا لله وحده بالعبادة والخضوع له .

قال تعالى : « قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا : اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ » (١)

فمما لاشك فيه أن خصائص الثقافة الإسلامية ، تقوم على تلك الحقائق اليقينية الهادية ، تلك الحقائق اليقينية المنبثقة من المنهج الالهى ، فهى ربانية الأساس والمصدر والمنهج ، ربانية الغاية والهدف الذى يؤلف فيما بين المادة والروح ، ويحقق الترابط الوثيق بين الدنيا والآخرة على نحو يوافق الفطرة البشرية ، ويوافق العقل السليم إلى غاية الحياة كما يجب أن تكون .

(١) سورة آل عمران (٦٤)

الخصيصة الثانية : ذات طابع إنسانى عالمى :

من خصائص الثقافة الإسلامية ، أنها جاءت ذات طابع إنسانى يتسم بالعالمية ، فهى لا تقيس الأمور بمقاييس البشر المعروفة ، تلك المقاييس التى تقوم على اعتبارات ضالة سقيمة - كروابط العشيرة والقومية ، أو روابط العرق واللون ، أو المصالح الشخصية التى تستند إلى الأنانيات الضيقة البغيضة .

إن الإسلام بثقافته لا يتلفت لمثل هذه الاعتبارات ، فقد أسقطها منذ ظهوره من الحساب عند تقدير الأمور ، حيث لا يزن الأمور إلاَّ بميزان العدل الذى لا يحابى ولا يميل ، يحترم فى الإنسان إنسانيته ، ويكسبه حق المساواة مع أخيه الإنسان فى وحدة الأصل والهدف والمصير .

ولقد بيّن الإسلام هذه الحقيقة فى القرآن الكريم ، ليضع الميزان الحق فى الأرض .

قال تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » (١)

---

(١) سورة الحجرات (١٣)

وقـال ﷺ : « الناس لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربى على عجمى ولا أبيض على أسود إلاّ بالتقوى »(١) فمقياس المفاضلة هو فى الأعمال وليس فى الأنساب .

وبهذا فالإسلام لا يعبأ بمظاهر اللون أو الجنس أو القوم أو غير ذلك مما درج عليه البشر . إنه جاء ينادى بوحدة عالمية ، تتخطى مراحل الزمن والجنس والأرض ، فثقافته للعالمين ، لأنه رب العالمين .

قال تعالى : « الْحَمْدُ للّه رَبِّ الْعَالمِينَ » (٢) كما وأن القرآن ذِكْرٌ للعالمين .

قال تعالى : « إنْ هُوَ إلاَّ ذِكْرٌ للعَالَمِينَ » (٣) ورسولنا الكريم ﷺ رسول للعالمين . قال تعالى : « وَمَا أرْسَلْنَاكَ إلاَّ رَحْمَةً للعَالَمِينَ » (٤)

وعندما يعول الإسلام فى تقديره للأشخاص على التقوى ، إنما يريدأن تنطوى التقوى على جماع الخير كله ، بكل ما فى الخير من معنى .

---

(١) رواه البيهقى جـ ٢٦ ص ١٤٨
(٢) سورة الفاتحة (٢)
(٣) سورة التكوير (٢٧)
(٤) سورة الأنبياء (١٠٧)

ومن معانى التقوى ، أن يتمرس الإنسان على العلم ، فيسعى جاداً لطلبه والتزود منه ليحظى بمرضاة الله ، لأنه عز وجل يقدر العلم وأهله مثلما يقدر التقوى والمتقين .

قال تعالى : « يَرْفَعِ اللهُ الذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ »(١)

ولذا فالثقافة الإسلامية فى هذا الصدد معطاة ، فهى سخية بالأفكار والآراء والعلوم والفنون والتصورات التى يوجب الإسلام بثها وذيوعها فى جميع الآفاق من غير تعصب .

إنها رسالة الزمن كله ، ورسالة العالم كله ، إنها الرسالة الشاملة الكاملة ، العامة الخالدة ، تخاطب كل الأمم ، وكل الأجناس ، وكل الشعوب وكل الطبقات ... وليست رسالة لشعب خاص ، يزعم أنه وحده شعب الله المختار ، لأن الناس جميعا يجب ان يخضعوا له ، أو انه الجنس الآرى صاحب الامتياز العالمى فى الرقى والتفكير .

قال تعالى : « تَبَارَكَ الذِى نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلعَالَمِينَ نَذِيراً » (٢)

---

(١) سورة المجادلة (١١)
(٢) سورة الفرقان (١)

إن الناس فى حاجة ماسة إلى دعوة عالمية شاملة كاملة تحترم قيمة الإنسان وتقدر كرامته ، وتحوطه بسياج اليقين ، إنهم فى حاجة ماسة إلى دعوة عالمية تبدد ظلام الخوف ، وتحقق أسباب السلم ، وتقيم دعائم الأخوة ، إنهم فى حاجة ماسة إلى دعوة عالمية تأخذ بيد الإنسان إلى مدارج الكمال والرقى .

الخصيصة الثالثة : تتصف بالشمول والتوازن :

من خصائص الثقافة الإسلامية أنها تتصف بالشمول والتوازن ، لإن الاسلام تتحقق فيه أسباب الصلاحية لكل زمان ومكان .

ويقصد بالشمول فى الثقافة الإسلامية : أن الإسلام بثقافته يتناول شتى مناحى الحياة للإنسان ، كما يتناول كافة الجوانب الرئيسية الأصلية للبشر .

فهو يتناول كلا من الجانب البدنى والنفسى والروحى والعقلى ، بمعنى أنه يجمع بين حياة الإنسان المادية والروحية .

ولكل من هذه الجوانب الإنسانية مطلب أصيل يقرره الإسلام ويدعو لتحقيقه من غير نكران ليكتمل بناء الإنسان .

فمطلب العقل : يتحقق فى شحنات الفكر والمعرفة التى يستمد منها العقل مضمونه وفحواه . ليكون الإنسان واعياً متبصراً مثقفاً راشداً .

ومطلب البدن : كفاؤه من الممارسات المادية والغريزية ، وهى أمور لا مناص من تقريرها والإعتراف بها .

ومطلب الروح : أن يظل الإنسان دائم الصلة بربه ، مرتبط بالعقيدة الإسلامية ، مسوق فى شوق روحى إلى الله عز وجل ، دائم الاحساس بأنه عبدالله يلوذ به ويلجأ إليه فى توسل وخشوع .

ومطلب النفس : أن تنمو على نحو متزن مهذب بعيد عن المزالق وكل مظاهر التطرف والزلل .

هذه المطالب جميعها يقررها الإسلام ويدعو فى تشريع واقعى دقيق منظم لتحقيقها فى واقع الحياة .(١)

ويقصد بالتوازن فى الثقافة الإسلامية : أن الإسلام بثقافته يحرص على التوازن والاعتدال بين الروحية والمادية ، بين الدين والدنيا ، فلا يغلب جانبا دون جانب ، ولا يركز على مطلب فى الإنسان دون غيره ، ولكنه يوزع اهتمامه وحرصه على الجوانب

---

(١) دراسات فى الثقافة الاسلامية ، د. أمير عبد العزيز ص ٢٨

كلها فى آن واحد من غير محاباه أو تمييز .

بخلاف غيره من الثقافات الأخرى ، التى غلبت الجانب المادى فى الإنسان ، وعمارة الجانب المادى فى الحياة ، دون التفات إلى الجوانب الأخرى .

هذه النزعة المادية ، جديرة بأن تولد الترف والطغيان ، والتكالب على متاع الحياة ، والغرور والاستكبار عند النعمة ، واليأس والقنوط عند الشدة .

وإلى هذا يشير القرآن الكريم إلى الأمم التى أترفت فى الحياة الدنيا فقتلها الترف ، ودمرها التحلل ، وحقت عليها كلمة العذاب ، وحرمت نصر الله وعونه .

قال تعالى : « حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ، لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ، قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ، فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ » (١)

وفى الطرف المقابل لهذه النزعة وأصحابها ، نجد آخرين من الأفراد والجماعات ، نظروا إلى الدنيا نظرة احتقار وعداوة ،

---

(١) سورة المؤمنون (٦٤ - ٦٦)

فحرموا على أنفسهم طيبات الحياة وزينتها ، وعطلوا قواهم من عمارة الحياة والإسهام فى تنميتها ، واكتشاف ما أودع الله فيها وأقرب مثل على ذلك نظام - الرهبانية - الذى ابتدعه النصارى - وأصبح الشائع فى مفهوم الناس عن الدين والتدين الحق . هو الانقطاع عن العالم ، والتفرغ للعبادة .

ب

وبين هاتين النزعتين قام الإسلام ، يدعو إلى التوازن والاعتدال فصحح مفهوم الناس عن حقيقة الإنسان ، وعن حقيقة الحياة ، وبين أن الحياة ليست سجنا عوقب الإنسان به ، وإنما هى نعمة يجب أن تشكر ورسالة يجب أن تؤدى .

فالقرآن الكريم يدعوا إلى العمل فى الحياة ، والضرب فى الأرض والسعى فى مناكبها ، والاستمتاع بطيباتها ، بجوار الحث على الاستعداد للآخرة، والتزود ليوم الحساب ، وذلك بالإيمان والعبادة وحسن الصلة بالله ، ودوام ذكره الذى تطمئن به القلوب .

قال تعالى « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ . وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ »(١)

---

(١) سورة المائدة (٨٧ - ٨٨)

وقال تعالى : « وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ، وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ »(١)

وفى صورة رائعة يصور لنا الإسلام التوازن بين الفردية والجماعية ، حيث تتكافأ فيها الحقوق والواجبات ، وتتوزع فيها المغانم والتبعات بالقسطاس المستقيم .

فلقد تخبطت الفلسفات والمذاهب من قديم ، فى قضية الفرد والمجتمع والعلاقة بينهما ، وجاء الإسلام من عند الله ليقيم التوازن فى الحياة بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة بالقسط .

قال تعالى : « لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ ، وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ »(٢)

وهكذا وقفت الثقافة الإسلامية بالشمول والتوازن وبين الروحية والمادية ، وبين الفردية والجماعية ، وبين الدنيا والآخرة ، بخلاف الحال فى الثقافات الأخرى التى غلبت أحدهما على الآخر .

---

(١) سورة القصص (٧٧)
(٢) سورة الحديد (٢٥)

الخصيصة الرابعة : إيجابية فى روحها :

من خصائص الثقافة الإسلامية : أنها إيجابية فى روحها ، هذه الروح التى تبثها هذه الثقافة فى الكيان الفكرى والنفسى والاجتماعى للمؤمن ، لترتفع به عن حدود الذات فى مطالبها وأشواقها ورغباتها ، إلى أرحب مدى إنسانى ، كى تكون النعمة على المؤمن فى الهداية والاستقامة ، نعمة كبرى ، يشع نورها إلى غيره من الباحثين عن الحقيقة ، المتطلعين إلى الهداية ، المشوقين إلى الاستقامة .(١)

فثقافة الإسلام ، تتميز عن غيرها من الثقافات الأخرى التى تتسم بالسلبية والركود أو الدوران حول رموز أو طقوس . ذلك لأن رسالة الإسلام تنبذ السلبية ، وتتنافى مع الانكماش وتوجب على المسلم أن يمارس تعامله فى الواقع والحياة بغير تقاعس أو عجز ، وإلا جاء يوم القيامة حاملا وزرا لنكوصه عن الواجب ، وتقصيره فى أداء الأمانة المنوطة به فى هذه الحياة .

وإذا كانت هذه الإيجابية التى تتمثل فى دعوة الناس إلى الحق وحب الخير لهم ، فإنها فى أوسع مداها تطبع المسلم فى

---

(١) انظر : لمحات فى الثقافة الإسلامية / عمر الخطيب ص ٨٣

أسلوب دعوته بطابع الإحسان والإخلاص ، والثبات على المبدأ ، والصبر على الأذى ، وتقبل المغارم مهما كانت ثقيلة .

ولذا وجب على المسلم أن يؤدى واجبه فى التبليغ والإرشاد ، دون أن ينتظر جزاء أو شكورا ، أو يعلق عمله على الاستجابه ، أو يربطه بالنجاح ، فهذه أمور لا شأن له بها . ولا يستطيع أن ينالها بمزيد سعيه ، ووافر عمله ، اذا لم تكن مما كتبه الله وقدره .

وقد نبه الله عز وجل نبيه ﷺ إلى هذا فى كتابه الكريم ، ليكون على بصيرة من الأمر ، فقال تعالى : « لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَاءُ » (١) وقال عز وجل : « مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ » (٢)

ففى هذا الإرشاد الالهى درس عظيم للدعاة إلى الله حتى يحذروا الضعف والتردد ، ولا يمسهم القنوط اذا لم يجدوا ما يؤملون من نجاح ، أو لم يلقوا ممن يريدون الخير لهم إلاّ الجحود والإعراض ، أو الاذى والنكال .

ومن الخطأ ظن البعض أن مواجهة المنكر ومخالطة الناس والصبر على أذاهم ، أمور لا قبل لهم بها ، ولا عليهم ، ما داموا -

---

(١) سورة البقرة (٢٧٢)
(٢) سورة المائدة (٩٩)

كما يقولون - صالحين فى انفسهم ، منعزلين عن الناس .

ومن الغريب أنهم بهذا يستندون الى قول الله عز وجل : « يـا أيُّها الذِّينَ آمنُوا عليْكُمْ أنفُسَكُمْ لا يَضُركُم مَّن ضَلَّ إذا اهْتَدَيْتُمْ إلى الله مَرْجِعُكُم جَمِيعاً فيُنَبِئكمُ بِمَا كُنتُمْ تعْمَلُونَ » (١)

وهذا فهم خاطئ أستند إليه هؤلاء الضعاف ليعفيهم من تبعة الجهاد ومشاقه ، ويريحهم من عنته وبلائه ! ...

ولقد صحح الخليفة الأول ، هذا الفهم الخاطئ فيما رواه ابن ماجه والترمذى وصححه عن أبى بكر - رضى الله عنه - قال : يا أيها الناس - انكم تقرءون هذه الآية : « يا أيُّهَا الذِّينَ آمنوا عَلَيْكُمْ أنفُسكُمْ لا يضُركُم مَّنْ ضَلَّ إذا اهْتَدَيْتمْ » فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الناس إذا رأوا منكراً فلم يغيروه يوشك أن يعمهم الله بعقـابه وفى رواية أبى داود » اذا رأو الظلم فلم يأخذوا على يديه ، أو شك أن يعمهم الله بعقاب ... » وفى أخرى « ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصى ثم يقدرون على أن يغيروا ثم لا يغيرون، إلاّ يوشك أن يعمهم الله بعقاب »(٢) .

(١) سورة المائدة (١٠٥)
(٢) انظر : مشكاة المصابيح ، الخطيب التبريزى جـ ٣ ص ١٤٢٣

وهكذا صحح الخليفة الأول - رضى الله عنه - هذا الفهم الخاطئ عند هؤلاء الذين يضعون هذه الآية على غير موضعها ، وما أكثرهم فى كل زمان وكل مكان !! .

إن إيجابة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، من خصائص الثقافة الإسلامية ، فقد روى أحمد ومسلم وأصحاب السنن عن أبى سعيد - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « من رأى منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان »(١)

إن الايجابية التى توجبها الثقافة الإسلامية متداخلة فى جميع دروب الحياة ، ومن ثم وجب على المسلم أن يكون حيويا وذا همة وتطلع عاليين ، فهو آمر بالمعروف ناه عن المنكر ، وهو قائل كلمة الحق بلا خشية من أحد ، أو تحسب للومة لائم ، وهو مجاهد بلسانه وقلمه ، وهو متعاطف مع الآخرين ليعيش معهم فى تعاون متآزر فلا يتخلى عن إخوانه عند الشدائد .

---

(٢) أنظر : صحيح الجامع الصغير ، للسيوطى جـ ٥ ص ٥٩٢

الخصيصة الخامسة : مترابطة متناسقة :

من خصائص الثقافة الإسلامية ، أنها كل متحد مترابط متناسق يؤخذ جملة وتفصيلا ، دون اصطفاء أو استهواء ، أو إعتباراً لما يوافق الهوى أو يصادفه .

فالثقافة الإسلامية ، بمفاهيمها العامة الشاملة ، ليست أجزاء متفرقة لا رابطة بينها ، تعرض كما تعرض السلع فى المتاجر ليختار الإنسان منها ما يلائمه ويوافق مزاجه ، ويدع ما يرغب فيه لعدم توافقه مع ذوقه .(١)

إن الإسلام كل لا يتجزأ ، فإما أن يؤخذ جملة ، وإما أن يترك جملة ، أم أن يستفتى الإسلام فى صغار الشئون ، وأن يهمل فى الأسس العامة التى تقوم عليها الحياة والمجتمع ، فهذا هو الصغار الذى لا يجوز لمسلم أن يقبله للإسلام ...

إن الإسلام يربى الناس تربية خاصة ، ويحكمهم وفق شريعة خاصة وينظم شئونهم على أسس خاصة ، ويخلق مقومات اجتماعية واقتصادية وشعورية خاصة ، فأولاً طبقوا الإسلام جملة فى نظام الحكم وفى اساس التشريع ، وفى قواعد التربية ، ثم

---

(١) انظر : لمحات فى الثقافة الإسلامية ، عمر الخطيب ص ٧٤

انظروا هـل تبـقى هذه المشكلات التى تسـألون عنهـا ، أم تزول من نفسـهـا ؟ أما قـبل ذلك فـمـا للإسـلام ومـا لهـذه القـضـايا التى لا يعرفها المجتمع الإسلامى الصحيح . (١)

إن وحدة الثقافة الإسـلاميـة المترابطة المتناسـقة ، ترتكز من وجهة نظر الإسلام ، على أساس منطقى قوى لأن الإسلام قد قدم للبشرية الحقائق كاملة ، وحسم بذلك كل المنازعات والخلافات التى ثارت حول كثير من قضايا الإنسان والكون والحياة .

كما أرسى لإسلام دعامة الوحدة الفكرية والروحية على قاعدة المنهج الربانى الذى هـدم الخرافـات والأوهام والتناقـضـات ، وذلك برد الأمر على كل هذه القضايا إلى الله عز وجل .

ولذلك لم يستطع أعداء الإسلام أن ينفذوا إلى كيانه الاعتقادى والفكرى والروحى والتشريعى المرتكز على الوحدة الدينية الأصلية التى تستجيب لها القلوب ، وتنشرح لها الصدور .

ولذا لجأوا إلى اسلوب التفريق والتـمزيق ... تفريق المسلمين شيعا وطوائف وأحزابا ، وتمزيق وحدة عقيدتهم ونظامـهم ، وذلك باثارة الشبهات ، ونشر الافتراءات وتشويه حقيقة الإسلام بشتى

---

(١) أنظر : دراسات اسلامية ، سيد قطب ص ٨٦ وما بعدها بتصرف

الطرق لفصل الدين عن الحياة ، وحصره فى نطاق محدود ، يسلبه عنصر التأثير والتوجيه والتنظيم ، لقضايا الإنسان الفكرية والمادية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية .

وقد أشار القرآن الكريم ، فى تقرير الوحدة الدينية الأصلية وإقامتها ، والنهى عن تمزيقها . بقوله تعالى : « شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ، وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ، كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ »(١)

كما كشف القرآن الكريم دعاة هذا التفريق والتمزيق ، وفضح نواياهم الخبيثة الحاقدة وأساليبهم التى تحركها مصالحهم الذاتية وأهواؤهم الفاسدة . بقوله عز وجل : « إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ » (٢)

فمما لا شك فيه أن الثقافة الإسلامية بوحدتها المترابطة المتناسقة تقوم على شمولية العقيدة الإسلامية .

والتى هى وحدة العقيدة المثلى للإنسان ، منفرداً ومجتمعاً ،

---

(١) سورةالشورى (١٣)
(٢) سورة الانعام (١٥٩)

عاملا لروحه أو عاملا لجسده ، ناظرا إلى دنياه أو ناظرا إلى آخرته ، مسالما أو محاربا ، معطيا حق نفسه . أو معطيا حق حاكمه وحكومته . فهى بالنسبة للمسلم روحه الحية الدائمة . المتحركة فى وجدانه وسلوكه وعمله .

الخصيصة السادسة : منهج هداية وتقويم أخلاق:

من خصائص الثقافة الإسلامية ، أنها منهج هداية ، ونور لتهذيب نفوس البشر ، وتقويم أخلاقهم ، واصلاح مجتمعهم ، وتنظيم علاقاتهم ، واشاعة الخير والفضيلة بينهم ، ومطاردة الشر والفساد فى بيئاتهم ، وقطع دابر الفرقة والتناحر بين صفوفهم .

والى هذا اشار القرآن الكريم - فى قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ، وَشِفَاءٌ لِّمَا فِى الصُّدُورِ ، وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ » (١)

إن فى الثقافة الإسلامية دستور للأخلاق ، ومنهج للتربية النفسية ليرتفع الإنسان من حضيض الفساد الى أوج الصلاح والتماسك والاستقامة .

---

(١) سورة يونس (٥٧)

قال تعالى : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ »(١)

إن صاحب الدعوة - رسول الله - ﷺ كان النموذج الأمثل للخلق الرفيع ، وذلك بما حباه ربه من صفات وفضائل تجل عن الوصف ويضيق عنها البيان .

وحسبنا أن نتلو قول الله عز وجل فى الثناء على نبيه محمد ﷺ « وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ »(٢) لندرك هذا المستوى الكبير من سمو نفسه ، ورفعة أخلاقه ونبل صفاته .

إن العنصر الأخلاقى أصيل وواضح فى أصول دعوة الإسلام كما أنه السمة البارزة فى سيرة رسولها ﷺ وسيرة الصفوة الرائدة من صحابته الكرام - رضوان الله عليهم .

إن بالتعاون الوثيق والتساند المحكم بين التوجيه والقدوة والإرشاد والتطبيق ، يُشادُ البناء الأخلاقى على أمتن الأسس ، ويبلغ الذروة فى القوة والإحكام .

قال تعالى : « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا » (٣)

---

(١) سورة الأحزاب (٢١)
(٢) سورة النحل (٩٠)
(٣) سورة القلم (٤)

هذا ولم يقف الأمر فى هذه الدعوة عند حدود التوجيه والترغيب أو النقد والتحذير ، بل يتجاوز ذلك الى التنفيذ والالتزام فى التشريع والاحكام لهذا الجانب الاخلاقى فى حياة الأفراد والجماعات ، بحيث لا ينفصم القول عن العمل ، ولا العمل عن نية الاخلاص .

قال تعالى : « كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ أن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ »(١)

ولا شك أن النفس الإنسانية هى مصدر الأخلاق ، فعنها تصدر الفضائل ومنها تقع الرذائل ، وبالتزامها نهج العقيدة ، واتباعها سبيل الإسلام تتحلى بالخلق الحسن ، وبانحرافها عن جادة الإسلام ، تتردى فى المهالك وتغرق فى المفاسد والآثام .

لذا فقد عرض القرآن الكريم فى آيات كثيرة(٢) لنفسية الإنسان عرضا دقيقا ، وصورها فى أحوالها المختلفة ، حتى يكون المسلمون على بصيرة من خبايا نفوسهم ، ويدركوا مسئولياتهم إزاءها ، ويعملوا على تنمية الخير فيها ، وتنقية الشر منها ، ويتصاعدوا بها إلى آفاق السمو والطهر والنقاء .

تلك هى أهم خصائص الثقافة الإسلامية التى يفيض بها الدّين القيم الخالد الصالح لكل زمان وكل مكان .

● ● ●

---

(١) سورة الصف (٣) .
(٢) راجع على سبيل المثال الآيات (١٩ - ٣٥) من سورة المعارج

الفصل الثالث

مقومات وركائز للثقافة الاسلامية

سنتناول هذا الفصل فى مبحثين :

المبحث الأول

مقومات للثقافة الإسلامية

ترتكز الثقافة الإسلامية على جملة من المقومات ، تتفاوت فيما بينها من حيث الأهمية والتأثير . ويمكن معرفة المقومات الأساسية التى تتحد جميعا لتتكون منها الثقافة الاسلامية فيما يلى :

ا - اللغة العربية :

اللغة أيا كانت ، هى احدى المقومات الأساسية للأمة ، وهى وسيلة التفاهم والتخاطب والتعارف ، كما أنها وسيلة نقل الأفكار والعلوم.

فاللغة بمثابة سمت يمثل طابع الأمة وصورتها ، ويكشف عن حقيقتها وجوهرها باعتبارها إحدى المنجزات التى تلدها الفطرة ، وتفرضها فى حياة الإنسان - ولئن كانت كذلك ، فاللغة العربية ، لغة الإسلام والقرآن ، هى المشكاة المباشرة التى ينفذ من خلالها الإنسان صوب دين الله ، وصوب كلامه الباهر فى قرآنه المعجز ، الذى يظل خالدا أبد الدهر . فلا تنقضى عجائبه ، لما يكمن فيه من أسرار تتجلى على أمتداد الأيام والأحقاب .

ولقد اختار الله عز وجل العربية لتكون لغة القرآن الكريم قال تعالى : « إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ »(١) وقال عز وجل : « وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ »(٢) ومن ثم فقد أراد الله عز وجل أن تكون اللغة العربية لغة مقدسة .

وعلى هذا لابد من التمسك باللغة العربية من خلال الحرص على تلاوة القرآن الكريم ، والعكوف على دراسته ووعيه والاقتباس منه . والوقوف على مكنوناته وأسراره . ومعرفة ما يتضمنه من قواعد السلوك والأخلاق التى تحقق أكتمال الشخصية وسلامة النفس .

هذا وقد دأب أعداء الإسلام قديما وحديثا على محاربة المسلمين عن طريق قطع الصلة بينهم وبين القرآن الكريم ، متبعين فى ذلك طرقا وأساليب شتى ، فمرة يمنعون انتشارها ونشر لغة أخرى مكانها فى المدارس ، ومرة يحاولون استخدام الحروف اللاتينية فى الكتابة والتأليف ، بدلا من الحروف العربية ، ومرة يدعون الى استخدام اللهجات العامية فى الكتابة والتدريس وفى جميع التعاملات . إلى غير ذلك من الأمور التى يسعون عن طريقها إلى قطع أواصر الوحدة بين الأمة الإسلامية ومحو تراثها . وضعف فهم القرآن الكريم .

---

(١) سورة يوسف (٢)
(٢) سورة الشعراء (١٢ - ١٥)

لذا ينبغى الحرص على تعلم اللغة العربية والاهتمام بها باعتبارها وسيلة كبرى فى تفهم القرآن الكريم والسنة النبوية والتراث الإسلامى . الذى يقود المسلم إلى التثقيف والثقافة .

٢- التاريخ الإسلامى :

إن التاريخ بشكل عام ، ميدان شاسع ملئ بالأحداث والمعطيات التى سجلتها ظروف الإنسان وأحواله السياسية والاقتصادية والاجتماعية والسلوكية .

وعلى ذلك فإن تاريخ الأمة يعتبر بمثابة مدرسة ميدانية واقعية مليئة بالوقائع والتفصيلات التى انحسرت عنها طبيعة الإنسان وأوضاعه فى شتى مجالات الحياة .

ومن الحق أن نذكر فى هذا المجال التاريخ الإسلامى الذى يقع فى الدرجة الأولى من درجات التاريخ للشعوب والأمم الأخرى ولا غرابة فى ذلك فإن هذه الأمة التى صنعها الإسلام بقيمه وتعاليمه ، قد بلغت القمة فى كل مناحى الحياة ، وفى كل مجالات الرقى والتقدم ، على أختلاف الصور والأشكال سواء على المستوى الفردى أم الجماعى .

فبالنسبة للفرد ، نجد الإسلام بقيمه وتعاليمه ونظمه ، أسفر عن نوعيات من البشر تبعث على العجب ، وتنتزع الدهشة ، إنها نوعيات من البشر قد تجاوزت كل تصور وزمان حتى كانت غاية فى التكامل الباهر وقمة فى اكتمال الشخصية السليمة الصالحة .

تلك نوعيات قد خلت لتكون مع الخالدين من بناة الخير والعدل والقسطاس المستقيم فى الأرض ، فلا يسع أحدنا إلاّ أن يقف إكباراً وإجلالاً عند سماع سيرة عظيم من امثال : أبى بكر ، وعمر وعثمان ، وعلى ، وحمزة ، ومصعب ، وسعد بن أبى وقاص ، وخالد بن الوليد ، وصلاح الدين الأيوبى . وغير هؤلاء كثيرون . مما صنعتهم تعاليم الإسلام وأساليبه فى التربية والإعداد .

أما المستوى الجماعى ، فيمكن القول بأن الإسلام قد أعطى للإنسانية كلها خير أمة عرفها تاريخ الشعوب والأمم .

فهى خير أمة بما لها من مقومات وأسباب ترفع بها إلى مكان الصدارة من بين أمم الأرض ، إنها مقومات وأسباب تتمثل فى أعلى ما يبلغه البشر من مكارم الأخلاق والرقى بالنفس البشرية إلى معانى التعاون والتآزر والإخاء والود والعطف والتسامح والرحمة .

إنها مقومات وأسباب تتمثل فى المساواة وإكرام بنى الإنسان من غير تعصب لأى اعتبار من اعتبارات القومية أو الجنس أو العرق أو الوطن أو غيره من الاعتبارات البشرية .

قال تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » (١)

---

(١) سورة الحجرات (١٣)

وقال عز وجل : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » (١)

وقال عليه الصلاة والسلام : « ترى المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » (٢)

إن هذه الأمة ذات التاريخ المجيد الذى يزخر بوافر الأمجاد والقيم والمعانى والذكريات يجب تسليط الضوء عليه وبيان ما فيه من النصر والبطولات والإبداع والنضوج. من أجل غرس الثقة فى نفوس الأجيال وتعريفهم بماضيهم التاريخى المجيد ، وهذا ما يشكل رصيدا ضخما من المعلومات والمعارف بما تنمو به ثقافتهم .

٣- العلوم والمعارف الإسلامية :

تعتبر بصفة عامة العلوم والمعارف من المقومات التى تقوم عليها ثقافات الأمم والمجتمعات الإنسانية ، وتعتبر العلوم والمعارف الإسلامية بصفة خاصة مقوماً من مقومات ثقافة الأمة الإسلامية .

فلقد هتف الإسلام منذ بزوغه للدنيا بقدر العلم والفهم والمعرفة اذ خاطب الله نبيه ﷺ عند أول هبوط للوحى « اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ . خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ . الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ »(٣)

---

(١) سورة الحجرات (١٠)
(٢) أخرجه البخارى باسناده عن النعمان بن بشير جـ ٧ ص ١٢ .
(٣) سورة العلق (١ - ٥)

ويقول جل وعلا فى تقدير أهل العلم ورفعهم إلى الدرجات العلا من أهل الإيمان والتقى : « يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ » (١)

ويقول سبحانه فى استفهام يتضمن إنكارا لاستواء الجهلة مع أهل العلم : « قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ » (٢)

ثم تأتى السنة لتحمل المزيد من الإكرام للعلم - فعن أبى هريرة - أن النبى ﷺ قال « من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين »(٣)

وعن أبى ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « يا أبا ذر لأن تغدو فتعلمّ آية من كتاب الله . خيز لك من أن تصلى مائة ركعة ، ولأن تغدو فتعلم بابا من العلم عمل به أولم يعمل خير من أن تصلى ألف ركعة »(٤)

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد » (٥)

ذلك قليل من كثير فيما ينطق به الإسلام من خلال الكتاب والسنة فى تقدير العلم واجلال العلماء والمتعلمين .

---

(١) سورة المجادلة (١١)
(٢) سورة الزمر (٩)
(٣) اخرجه ابن ماجه جـ ١ ص ٨٠
(٤) اخرجه ابن ماجه جـ ١ ص ٧٩
(٥) اخرجه ابن ماجه جـ ١ ص ٨١

هذا ولا تتأتى المعارف الإسلامية ، إلا بدراسة العقيدة ، وما يتعلق بها من مباحث تدلل على الإيمان بالله عز وجل ، ودراسة القرآن الكريم وتدبره وفهم غاياته وأحكامه ، والوقوف على إعجازه ودراسة السنة النبوية وعلومها ومصطلحاتها ، ودراسة الفقه وأصوله ، ليقف المسلم على مصادر الأحكام الشرعية . ومناهج الاستنباط وضوابط الاجتهاد إلى غير ذلك .

وصفوة القول : فإن المسلم اليوم مطالب بالاغتراف من معين العلوم والمعارف الإسلامية ليكون عضوا نافعا لأمته والناس من حوله .

ومن المعلوم حقا أن العلم والمعرفة يسكبان فى النفس بواعث الصقل والتهذيب والتربية الحسنة ، وهذا يفيض على المسلم - ذكرا أو أنثى - قدراً من الثقافة الواعية النيرة وتنشئة على نحو من الوعى المتبصر والعقلية المستنيرة .

وعلى ذلك فإن العلوم والمعارف الإسلامية تشكل فى الثقافة الاسلامية مقوما هاما وفعالا .

٤- الحضارة الإسلامية :

إن حضارة الأمة بصفة عامة ، تحتوى على كل مقومات الحياة فيها ، ويستوى فى ذلك المقومات المادية والعملية والمعنوية .

ومما لا شك فيه ، أن الحضارة الإسلامية لعبت دوراً كبيراً فى تاريخ الشعوب ، حيث حررت العقول والشعوب من الاستبداد والخرافات .

لقد أخذ المسلمون منذ فجر الإسلام بأسباب العلم والمعرفة ، واصطناع مناهج الملاحظة والتجربة ، فترجموا العلوم والفلسفات الأخرى من اليونان والفرس وغيرهما من بلاد العالم .

هذا إلى جانب معرفتهم بالطب والصيدلة والكيمياء والعلوم الرياضية ، والفلك والجغرافيا وغير ذلك من العلوم النافعة .

كما عرف المسلمون نظم الدولة - الادارية والقضائية والمالية والاقتصادية - ودونوا الدواوين الخاصة بالمال والجيش والبريد والرى والزراعة وكل ما يلزم لتنظيم شئون الدولة .

وبرعوا فى التقدم المعمارى والهندسى على أحدث طراز عرفته البشرية ، وما زالت المساجد والقصور والأسوار فى مصر والشام وبغداد والأندلس والقدس وغيرها تشهد على عظمة حضارة المسلمين وتقدمهم .

ومن المؤسف أن نجد اليوم من يحاول إسناد الحضارة الإسلامية إلى أصول هندية وفارسية واغريقية ، منكرين الدور الحضارى والفكرى للمسلمين ، وهؤلاء وأبوا على إحياء الارتباط بالحضارة القديمة ، وتربية الأجيال الجديدة على تجاوز الحضارة الإسلامية ، حتى فى بلاد المسلمين .

ولا شك فإن الغلو فى دراسة الحضارات القديمة على حساب الحضارة الإسلامية ، هو نوع من المغالطة فى تثقيف الأجيال الحالية من المسلمين فيجب علينا أن نبصر هذه الأجيال بحضارة

أسلافهم ، فهى مقوم من مقومات ثقافتهم الأصيلة .

٥- قيم المجتمع الإسلامى وأهدافه :

إن ثقافة أية أمة تقوم بشكل عام على أساس القيم السائدة فى تلك الأمة ، وهى فى العادة وثيقة الصلة بعقيدتها وفكرها ، وكذلك سلوكها ونمط حياتها ، وما تريد تحقيقه من أهداف ، وما تتطلع إليه من غايات .

ولا شك فكلما نمت ثقافة أمة نمواً طبيعياً فى جو من قيمها وتراثها ، وفى حدود ما ترسمه عقيدتها وفكرها ، فإنها تكون قادرة على حل مشكلاتها ، والتغلب على الصعوبات التى تواجهها .

لذا يجب أن تكون الثقافة انعكاساً حياً وصادقاً ، عن المفاهيم الأصلية للأمة الإسلامية ، ملتزمه بقيم الأمة وأهدافها ، عاملة على تعميق هذه القيم فى وجدان هذه الأمة .

إننا نتطلع أن تكون الثقافة الإسلامية ، هى الثقافة العامة لكل شبابنا ، والأرضية التى يقفون عليها ، فتوحدهم نحو الفهم الصحيح السليم ، والتصور الهادف نحو مستقبل أفضل لأمتهم .

أننا نأمل أن تكون الثقافة فى أجيالنا مناعة ضد التيارات الفكرية المعادية للإسلام والمسلمين ، وأن تسهم فى بناء شخصية المسلم ، وبث ثقته بنفسه وبأمته .

المبحث الثانى
ركائز الثقافة الإسلامية

ترتكز الثقافة الإسلامية على مفاهيم إسلامية صحيحة سليمة كاملة شاملة لشئون الكون والإنسان ، والحياة وأهم هذه الركائز هى :

١ - الحقائق الجلية الهادية :

إن مفاهيم الإسلام - وهى ثقافته - منبثقة عن عقيدة ربانية شاملة ، ترتكز على الحقائق الجلية الثابتة التى تقوم على اليقين الجازم ، المتسم بالوضوح والصدق والعمق .

هذه العقيدة تقيم - من حيث الاعتقاد والتفكير - لدى البشر جميعا ، التصور الصحيح الدقيق المتكامل للكون والإنسان والحياة.

فمنهج الإسلام الذى يرتكز على الحقائق الجلية اليقينية الهادية الهادفة ، يربط الحقائق المفردة فى الكون والحياة ربطا يصلها بأجل حقيقة وأكبرها وهى العقيدة الإسلامية .

وبذلك لا يدع الإسلام هذه الحقائق أمام العقل البشرى والضمير الإنسانى ضروبا من المعرفة الجامدة ، والمعلومات المجردة ؛ بل يفتح البصائر ، ويوقظ الضمير ، ليعمق أوثق صلة

بين الحقائق الهادية وبين العقول والقلوب المتفتحة للإيمان والخير والهداية .

« هذه الوصلة بين القلب البشرى وايقاعات هذا الكون ، هى التى تجعل للنظر فى الكون والتعرف إليه أثراً فى القلب البشرى ، وقيمة فى الحياة البشرية .

هذه هى الوصلة التى يقيمها القرآن بين المعرفة والعلم ، وبين الإنسان الذى يعرف ويعلم ، وهى التى تهملها مناهج البحث التى يسمونها (علمية) فى هذا الزمان ، فتقطع ما وصل الله من وشيجة بين الناس والكون الذى يعيشون فيه .

فالناس قطعة من هذا الكون ، لا تصح حياتهم ولا تستقيم إلاّ حين تنبض قلوبهم على نبض هذا الكون ، وإلاّ حين تقوم الصلة وثيقة بين قلوبهم وايقاعات هذا الكون الكبير » (١)

وإذا كنا نلح اليوم على هذه المفاهيم الإسلامية ، ونلقى الضوء على حقائقها الكبرى ، فليست الغاية من ذلك توسيع آفاق المعرفة بها فحسب ، وتثقيف العقول برصيدها الفكرى الضخم ، ولكن من أجل صبغة الواقع الإنسانى ، بصبغة هذه المفاهيم النقية الخيرة(٢) .

---

(١) أنظر : فى ظلال القرآن الكريم ، سيد قطب جـ ٢٦ ص ١٥٨

(٢) انظر : لمحات فى الثقافة الإسلامية ، عمر الخطيب ص ٥٤

فواجب علينا أن نجعل هذه المفاهيم واقعاً بشرياً حياً ، ونماذج إنسانية فعالة ، حتى لا تكون كالماء المسفوح على قيعان لا تمسكه ولا تنتفع به .

ولقد أوضح رسولنا الكريم ﷺ العلاقة الوثيقة بين المعرفة والعمل وضرورة توافر الأمرين معا فى هذا المثل الحى الرائع .

فعن أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ قال : « إن مَثَلُ ما بعثنى اللهُ به - عز وجل - من الهدى والعلم ، كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبةٌ قبلت الماء فأنبتت الكلاء والعشب الكثير ، وكان منها أجادبُ أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا ، وأصاب طائفة منها أخرى ، إنما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأً ، فذلك مَثَلُ من فقهُ فى دين الله ونَفَعهُ بما بعثنى الله به ، فعَلم ، وعلَّم ، ومثل مَنْ لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هُدى الله الذى أرسلتُ به»(١)

٢- المنهج الربانى الشامل :

إن الثقافة الإسلامية - فى حقيقتها - هى هذه المفاهيم الحية الخيرة المستمدة من العقيدة بمعناها الشامل وآفاقها الواسعة ، فهى عقيدة التوحيد ، ومنهج الحق ورعة العدل ، وأمانة الله عز وجل ودستوره الخالد للبشر ، وسبل السعادة الكاملة لهم فى الدنيا

(١) رواه الشيخان واللفظ لمسلم جـ ٧ ص ٦٣

والآخرة . فلا يستقيم أمر البشر إلاّ بهداها ، وهى حق فى ذاتها ومصدرها ، ووسائها وغاياتها(١) .

ولا شك فإن المنهج الآلهى ، هو الذى يرسم للبشر خطة السير الصحيح وسلك السبيل الأقوم فى الحياة الدنيا ، من أجل تحقيق أسمى الغايات ، وادراك السعادة الكاملة للأفراد والجماعات .

يقول تعالى : «وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ، ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » (٢)

هذا هو المنهج السوى الذى لا تعرج فيه ولا التواء ، إنه صراط الله المستقيم الذى يجمع فى إحكام وتناسق رائع ، بين العقيدة الحقة النيرة والنظام الكامل للحياة الطيبة ، ويحقق الصلة بين الفكر والوجدان من جهة وشئون الحياة وأوضاعها من جهة أخرى .(٣)

إن العقيدة فى نظام الإسلام، هى الاساس التى تبنى عليه نظرته أو نظامه الخلقى ، وهى التى تكون الأساس الفكرى لعقلية المسلم ، والأساس النفسى بسلوكه ، ومنها كذلك تنبثق نظرته إلى الحياة الإقتصادية والحياة الاجتماعية والحياة السياسية .

ومن ثم فمضمون العقيدة له تأثير كبير فى الحياة الإسلامية

---

(١) انظر : لمحات فى الثقافة الإسلامية / عمر عودة الخطيب ص ٥٥ .
(٢) سورة الأنعام (١٥٣)
(٣) انظر : لمحات فى الثقافة الاسلامية / عمر الخطيب ص ٥٧

سواء الفردية أم الجماعية، فلا تستطيع أن تعزل قواعد التنظيم الحقوقى الاجتماعى الموجودة فى القرآن عن هذا العنصر الإيمانى الذى يتخللها ويحيط بها .(١)

إذن ترتكز الثقافة الإسلامية على المنهج الربانى وحده ، وتتجلى فى الاعتقاد الحق ، والتصور الصحيح ، وقواعد الأخلاق والسلوك ، والقيم والموازين التى تسود المجتمع ، ونظمه السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

كما تتمثل هذه الثقافة كذلك فى المعرفة بكل جوانبها ، وفى قواعد العمل الفكرى والنشاط العملى ، وكل ما شرعه الله تبارك وتعالى لتنظيم الحياة البشرية .

« فالثقافة الإسلامية شاملة لكل حقول النشاط الفكرى ، والواقعى والإنسانى ، وفيها من القواعد والمناهج والخصائص ، ما يكفل نمو هذا النشاط وحيويته دائما » (٢)

٣- الفطرة الإنسانية الأصيلة :

ترتكز الثقافة الإسلامية ، على رصيد من الفطرة الإنسانية الأصيلة التى فطر الله تعالى عليها النفس البشرية ، لترتفع بالإنسان إلى آفاق العبودية الخالصة التى تتسق مع حقيقته وكرامته ، وتنقذه من مواريث الجاهلية .

---

(١) أنظر : نظام الإسلام – العقيدة والعبادة – محمد المبارك ص ٢٨

(٢) أنظر : معالم فى الطريق – سيد قطب ص ١٦٥

قال تعالى : « فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ » (١)

وقد تضل الفطرة وتنحرف لتتمخض بالتالى عن سلوك فاسد معوج لا يأتى بخير . وبذلك تتشوه الفطرة ، ويفقد الإنسان معنى الإنسانية الأصيلة .

فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه أو يمجسانه ، كمثل البهيمة تنتج البهيمة ، فهل ترى فيها جدعاء »(٢)

فالفطرة الإنسانية الأصيلة مسخرة للإيمان وطاعة الله تعالى بوسائل المعرفة والحواس للنظر إلى ما فى الكون من آيات تدعوا إلى توحيد الله والإيمان به . قال تعالى : « وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ »(٣)

إن مفاهيم الإسلام - وهى ثقافته - تتفاعل فى النفس الإنسانية مع الفطرة النقية التى لو تركت وأصالتها - من غير محاولة افسادها وتشويهها - لما انحرفت عن عهد الله ، أو زاغت عن هداه ، أو ضلت عن سبيله .

فإذا كانت موجبات الهداية ، وموحيات الإيمان ، وأسباب

---

(١) سورة الروم (٣٠)
(٢) رواه البخارى ، انظر : فتح البارى ، لابن حجر العسقلانى جـ ٣ ص ٤٩٤
(٣) سورة النحل (٧٨)

الاستقامة ممتزجة بكيان الإنسان منذ نشأته، وكان نور الحق متغلغلا فى فطرته فإن ثقافة الإسلام ، إنما ترتكز على هذا الرصيد الكبير النقى فى إقامة الوجود الحق الكريم للإنسان .

ومن فضل الله تعالى على الإنسان ، أن زوده إلى جانب هذه الفطرة الصافية النقية ، بالعقل الواعى الذى من شأنه أن يميز الحق من الباطل والطيب من الخبيث ، وبالعين المبصرة التى تشهد دلائل الهدى فى الكون والحياة ، وبالأذن المدركة التى تسمع ما يتلى عليها من عظات وتوجيهات . (١)

فمن سلمت فطرته ، وتيقظت بصيرته ، وأستخدم ما أنعم الله به عليه من وسائل المشاهدة والمعرفة ، وعرف طريق الاستقامة ومضى فيه ، كان من المهتدين ، وإلاّ كان من الضالين الغافلين الذين ينحدرون إلى درجة السوائم بل هم أضل سبيلا .

قال تعالى : « وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا ، وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ ، أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ » (٢)

ذلك هو الفرق بين ما ترتكز عليه الثقافة الإسلامية على الفطرة الإنسانية الأصيلة التى تسمو بالنفس ، وبين الثقافات الأخرى التى لا تقيم وزنا لهذه الفطرة وموجباتها فتهبط بالإنسان إلى ظلمات الضلال والفساد .

---

(١) انظر : لمحات فى الثقافة الإسلامية ، عمر الخطيب ص (٦٠ - ٦١)

(٢) سورة الأعراف (١٧٩)

خاتمـــة

لدراسة الثقافة الإسلامية ، طرق معينة ينبغى اتباعها حتى يتحقق الغرض المنشود من دراستها وتدريسها ، والتثقيف بها .

وأهم هذه الطرق ما يلى :

- دراسة مصادر الثقافة بعمق حتى تُدركَ ما تحمله من حقائق إدراكا صحيحا واعيا ، لأن هذه الثقافة فكرية عميقة الجذور فى خصائصها ومقوماتها وركائزها التى تحتاج فى دراستها وفهمها إلى رويه وتحمل وصبر .
- الإقتناع التام لما يدرسه الدارس كى يعمل به - بمعنى أن يصدق الحقائق التى يدرسها تصديقا جازما - دون أن يتطرق إليه أى شك أو ارتياب ، إذا كانت تلك الحقائق تتعلق بالعقيدة وأن يغلب على ظنه مطابقتها للواقع إذا كانت من غير العقائد - كالأحكام والآداب المستندة إلى أصل معتقد به اعتقادا جازما .
- ان تكون دراسة الثقافة دراسة علمية عملية شاملة لكافة مناحى الحياة ، لتعالج الواقع المدرك المحسوس ، ليصبح الدارس لها عميق الفكر ، مرهف الإحساس ، قادراً على حل مشاكل الحياة العصرية .
- الحرص على دراسة الإسلام بصورة شاملة ، دون الدخول فى التفصيلات ، لأن الثقافة الإسلامية لا تبحث فى التوحيد أو الفقه أو التفسير أو الحديث أو غير ذلك من العلوم الإسلامية

كعلوم قائمة بذاتها ، ولكنها تستفيد من هذه العلوم جميعا للتعرف على حقيقة الإسلام ، وروح الثقافة والحضارة الإسلامية ، وطبيعة هذا الدين المتميزة .

ومتى استكملت الدراسة طرقها هذه ، أصبح ضروريا على الدراس أن يلمّ بالمواضيع التالية :

- معرفة حقيقة الإسلام ، كعقيدة حية متجددة فى القلوب والعقول والنفوس .
- شمولية الإسلام لكافة أنواع النشاط الإنسانى : فى العقيدة والعبادة والأخلاق والفكر والاقتصاد والإجتماع والسياسة .
- أثر الإسلام كعقيدة وشريعة فى ثقافة العرب وحضارتهم ، وما حققه من تقدم ورفاهية فى نطاق البشرية جمعاء .

ولا شك فإن أمة هذا طريقها فى دراسة الثقافة الإسلامية لا يمكن أن تُغْلب ما آمنت بكتاب الله وسنة رسوله ، وكافحت لاعلاء كلمة الله تعالى ، وعملت على تطبيق شريعته فى كافة شئون حياتها .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،

دكتور / شوقى عبده الساهى

القاهرة / مدينة نصر

فى يوم الجمعة ١٦ رجب ١٤١٣ هـ
٨ يناير ١٩٩٣ م

الفهرست *

الموضـوع	الصفحة
المقدمة	٣
تمهيد : (نحو ثقافة الأمة)	٦
الفصل الأول :	
مفاهيم وأهداف للثقافة الاسلامية	٩
المبحث الأول : مفاهيم حول الثقافة الاسلامية	١٠
المبحث الثانى : أهداف الثقافة الاسلامية	٢٢
الفصل الثانى :	
مصادر وخصائص للثقافة الاسلامية	٢٥
المبحث الأول : مصادر الثقافة الاسلامية	٢٥
المبحث الثانى : خصائص الثقافة الاسلامية	٣٣

* تنبيه : لم نر حاجة لاثبات فهرست للمراجع فى آخر الكتاب وقد اكتفينا بذكرها فى الهوامش ، كل فى موضعه .

الفصل الثالث :

مقومات وركائز للثقافة الاسلامية	٥٤
المبحث الأول : مقومات الثقافة الاسلامية	٥٤
المبحث الثانى : ركائز الثقافة الاسلامية	٦٣
الخاتمة :	٧٠
الفهرست	٧٢

تم الجمع بمكتب
أوسنى للنسخ والترجمة
٥ ش أحمد فؤاد نسيم - مدينة نصر

رقم الايداع بدار الكتب المصرية ١٨٧٨ لسنة ١٩٩٣
الترقيم الدولى : I.S.B.N.-977-00-4580-2

مطبعة
أبناء وهبه حسان
٢٤١ (أ) شارع الجيش - القاهرة
ت : ٩٢٥٥٤٠